

الروابط القديمة

بين بلاد العرب والقطر المصري

للكنوز حسن كمال

مدير الصحة اللاروية والدعاية الصحية بوزارة الصحة

يُعدّ في فرصة الحج كل عام حوالي عشرة آلاف نسمة من سكان القطر المصري لأنّها الركن الخامس للأسلام فهي واجبة شرعاً على كل مسلم . لكن كما عاد الحاج المصري المتقف إلى وطنه خالطه الرغبة في معرفة الروابط التاريخية القديمة التي كانت تربط القطر المصري بالقطر الشفيق والتي يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام

إيمان هناك روابط عديدة وحوادث تاريخية هامة ونظريات علمية خطيرة ذات علاقة بالموضوع فأمر معروف لدى المشتغلين بالآثار . ودعوة في اظهار هذه الروابط رأيت أن أجمع الهام منها راجياً بذلك أن أسد فراغاً تتوق إليه أक्स كثير من الباحثين

على الرغم من الرأي الحديث القائل بأن المصريين الاقدمين نشأوا وترعرعوا في القطر المصري ذلك الرأي الذي يطلق عليه الانثرون لفظ (Antiochthonism) — فإن هناك اسانيد هامة تشير إلى ان المصريين الاقدمين وسكان بلاد العرب من اصل واحد — وهناك رأي كذلك بأن المصريين أتوا من بلاد العرب عن طريق باب المنب فالسودان يمزج ذلك اولى الجيوب عند قدمه المصريين واشترك العرب والمصريين في قبا الألف وديديبة الذهب ونسومة الشعر

أما رابطة اللغة فأني اترك فيها الكلام للعضور له أحد كمال باشا الأري حيث ذكر في (مقتطف شبهر سنة ١٩٢٦ من ٢٦٣) تحت عنوان بحث لغوي ما يأتي : —

« أن المصريين القدماء ارادوا تخليد ذكر اصلهم فأثبتوه بالحفر على آثارهم قائلين ان اجدادهم يدعون الاعناء (جمع عنو) اي أنهم اقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل وأسسوا فيه مدنًا كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بلنصرية العين البحرية ومنها العين الجنوبية وهي

أرمنت ومنها عين التي سميت فيها بعد دندرة . ولما عموا وكثروا تفرقوا في الجهات المجاورة لوادي النيل ففريق منهم وهو المعروف باسم اغناء (الخنو) أو اسويين توجهوا الى بلاد شيبون وتونس والجزائر وسكنوا فيها وفريق آخر يسمى اغناء (السنو) هاجر الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر ممتداً الى فلسطين . وفريق ثالث يسمى اغناء (البيثو) سكنوا القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل . وفريق رابع ويقال له اغناء (الكوز) وهم أهل التوبة . وهكذا تفرق الاغناء وتوطنوا الجهات التي ذكرناها وبثوابها لهم مدة من الدهر فكانت هي لغة البلاد التي تكلم الى الآن بالعربية . فالتة المصرية أي لغة قائل الاغناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بلا مرأى ، وعلى هذا الاساس ارجع سعادتة في معجمه الضخم كل كلمات اللغة المصرية القديمة الى اللغة العربية واستنتاج سعادتة ان من نصوص الدير البحري — وهو يدور نظرية النشء الذاتي *self-creation* ومع انه لا يعارض مع نظرية ارجاع النصريين الانديين الى بلاد العرب ومجيئهم من باب انذب فالحبشة فالسودان فمصر إلا أنه يرجح باعترين المصري والعربي الى أصل واحد بل ولغة واحدة

وكم كنا نود لو اجريت المباحث الخاصة بالنسب الدموي على عدد كبير من المصريين والعرب لمتنا لتتوق من هل غاية هذين النصريين ترجع الى أصل واحد كما هو المظنون . وقد ساء الأستاذ الفاضل الدكتور علي بك شوشه مدير مصلحة معامل النسخة في بحث هذا الموضوع وشرحه في بعض محاضراته وكذلك الدكتور محمد شرف بك . ونحن نتقدم هنا الى شوشه بك طالبين منه أن يضحى بعض وقته فيصرفه في تحليل دماء عدد كافر من المصريين والعرب غلة يصل بنا الى نتيجة علمية حاسمة

هل غزا العرب مصر في أواخر حكم الاسرة الثامنة ؟ (حوالي ٢٤٤٥ ق . م) هذا السؤال لا يزال يتكهن به بعض الباحثين أمثال فلندرز بيري . والمعروف انه لما سقطت الاسرة الثامنة حكمت عرى الحكومة المصرية وعتت القوضى البلاد وساد بها التلف وكثر الخراب . أما الاشخاص المسؤولون عن هذا الانقلاب العظيم فلم هند اليهم . ويظن الأستاذ بيري أنهم كانوا من عنصر عربي غزا مصر عن طريق برزخ السويس كما يستجضناً من آثار الملك (خيان) الذي تصبر وادعى انه حكم جميع القطر المصري كما ادعى بعده أركمات لما دخلوا مصر . وقد عثر على الجزء السفلي لثمان هذا الملك بمجد تل بسطة . وهو مضعوع على شكل التماثيل المصرية

لقديمة ومن الصوان الأسود . كما عثر على صخرة مجيدين منقوش عليها اسم هذا الملك داخل
خوة ملكية وغير ذلك من الآثار . وقد امت هذا الملك بأنه « أمير الجليل » — ويحي أمير
الصحراء — فهو وأخالة هذه يشير إلى الحكيم الصحراوي . ومن بسطة من أوائل الاماكن
لنصرية التي يحتلها الاجبي ضد دخوله انقضت انصري ، وبين هذا الملك ملك آخر يقال له (خزرج)
وملك ثالث اسمه (يعقوب حر) . وهذه الاسماء الثلاثة اجنية وليست مصرية . اما الاستاذ
برستد فينسب هذه الملوك الى عهد الهيكوس او الرعاة الذين دخلوا مصر حوالي ١٧٠٠ ق.م)
وحكوها ومكنوا بها حتى عام ١٥٨٠ ق.م . وقد قال يوسفوس (Josephus) ان الهيكوس
هم بنو اسرائيل فاذا كان هذا الرأي صحيحاً — وهو على الأرجح غير صحيح — فان خروج
الهيكوس من مصر يكون عبارة عن خروج بني اسرائيل . ولم نعد حتى الآن في آثار هذا العهد
عن ذكر لبني اسرائيل قط . وعلى ذلك فيجب اعتبار الهيكوس غير بني اسرائيل
والهيكوس او الرعاة من اصل عربي بدليل قول الاستاذ برستد ان معرفة وطن امباطورية
الهيكوس . وأصلهم وأخلاقهم ليس صعباً وان الغالب ان رواية (مانبتون) القائلة بان هؤلاء
القوم فيثيون صحيحة



والثابت ان اهالي بلاد العرب كثيراً ما هاجروا الى سوريا . ولذلك لا يبعد ان هذين
المنظرين أحداً بعد مجيودات حرية تحت ادارة حاكم قوتي وكوفاً مملكة واحدة . ويلاحظ
ان السوريين الذين أتوا الى القطر المصري أيام الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٩ — ١٧٨٨ ق.م)
كانوا شمديين راقين كما ان حروب الفراعنة في سوريا بمدطرد الهيكوس من مصر أثبتت وجود
حضارة عظيمة هناك . والظاهر ان اتجار صرح امباطورية الهيكوس العظيمة ترك بعض تأثيراته
في اهالي فلسطين وسوريا اشترت عدة اجيال بعد بسط النفوذ المصري عليها . ولذلك نجد بين
اخبار حروب مصر تلك الجهات بعض معلومات عن امباطورية الهيكوس التي تضمنت
اما هجرة سيدنا ابراهيم من بلاد العراق الى كنعان حصلت حوالي ١٦٠٠ ق.م . ولم نعرف
بالضبط تاريخ دخول بني اسرائيل القطر المصري ولا مدة مكوثهم به . لكن يستدل من نصوص
الكتاب المقدس ان تاريخ الخروج كان سنة ١٤٩٠ ق.م . وخطابات تل العمارنة التي يرجع
تاريخها الى (١٤١٥ — ١٣٦٢ ق.م) — في عهد اخاطون — تشير الى وجود (طاربا) ؟
البرانيين في فلسطين
وفي سنة ١٢٢٥ ق.م . قامت ثورة ضد ملك مصر (منتاح) في فلسطين احدثت . وورد

ضمن أخبارها « ان الاسرائيليين ايدوا ولم يبق لهم بشرة ». وفي سنة ١٠١٠ ق. م استولى سيدا دارد على مدينة بيت المقدس وفي عام ٩٣٠ ق. م سب للعبريون بيت المقدس. وفي عام ٥٨٦ ق. م سقطت بيت المقدس في ايدي البابليين. وفي عام ٣٣٣ ق. م خضع العبرانيون لسلطة الاسكندر الاكبر. وفي عام ٣٢٠ ق. م استولى بطليموس على بيت المقدس

هذا باختصار بيان بعلاقة مصر القديمة بشمال بلاد العرب حتى عهد بطليموس الاول — وهي علاقة يوزها الكثير من البحث والاسانيد والمراجع الوثيقة وغير ذلك. وعلى كل حال فهذا هو كل ما يمكن ان يقدمه الكتاب للقارئ في ايجاز يناسب المقام بقى علينا بعد ذلك ان نبحث في علاقة بلاد العرب بنقطة نفس التقدّم في العهد اليوناني وقد وفي الاستاذ (تارن — Tarn) هذا الموضوع حقه في « الماديات المصرية » عام ١٩٢٩ (ص ١٠ — ٢٥) فنقتطف منها ما يلي مما يهم القارئ معرفته . —

لاشك ان معلومات اسكندر المقدوني عن شبه جزيرة العرب وحضنها كانت ناقصة جداً لانه أمر هيرون (Hieron) ليظوف حول شبه جزيرة العرب من بابن في هيروبوليس (خليج السويس) فقام محرماً حتى وصل رأس مسداه فقط وقتل راجعاً وذكر في تقريره ان بلاد العرب لا بد وان تكون كبيرة كبلاد الهند. وفي الوقت نفسه أمر اسكندر المقدوني بارسال بعثة بحرية لتطواف حول شبه جزيرة العرب من خليج السويس الى خليج اقروس فوصلت هذه البعثة حتى باب المندب وقتلت راجعاً ايضاً نقلة الغذاء والماء على الاربعاء وقد ذكرت البعثة الاخيرة ان المسافة بين السويس وباب المندب تبلغ ١٤٠٠ فرسخ يوناني وهو تقدير قريب جداً من الصواب اذ انها في الحقيقة ١٣١٢ فرسخاً يونانياً (Stades). ولما وصلت البعثة الى حضرموت سمعت بوجود ممالك غريبة على الساحل الغربي مثل مهرا وحضرموت وسبأ وفي عهد بطليموس الثاني (٢٨٣ — ٢٤٧ ق. م) عهد الى بعثتين لاكتشاف ساحل البحر الاحمر الشرقي والغربي بدقة وعناية اما البعثة التي قامت باكتشاف الساحل الشرقي فوصلت الى باب المندب وكانت تحت رئاسة ارستون (Ariston) الذي ورد في مذكراته اقدم ذكر لنبود في النصوص اليونانية

ولتبحث الآن في سرائعهم اليونانيين بجزيرة العرب. لاشك ان اليونانيين وغيرهم من الممالك المجاورة كانوا كثيري الاهتمام بالاستيلاء على شمال بلاد العرب لان تجارة العطور

كانت تأتي من الهند والشرق الأقصى إلى جنوب بلاد العرب بالسفن وتنتقل منها بواسطة القوافل عن طريق سبأ ويثوب (الهندية المنورة) متبعة بعد ذلك طريق السكة الحديدية الحجازية حتى (الغزاة) (ميدان صالح) ومن ثم تتفرع الطريق فرعين فرع يتجه نحو (غزة) والآخر نحو (طيرة) (دمشق). هذا هو السرائري من جهة فاضلت مصر قنود بابل في شمال بلاد العرب وتنتشر

* * *

إلى هنا انتهى ما أردت ذكره عن العلاقات القديمة بين شبه جزيرة العرب والنظر المصري ضد ذلك يأتي العهد الروماني والإسلامي وهما معروفان ويمكن قبل التفرخ من هذا البحث يجب ذكر شيء عن رابطة البحر فننظر من الآثار المصرية أن الديانة المصرية قبل حكم الأسرات كانت تتركز في التوحيد. فقد قال المرحوم كمال باشا (بقية الطائنين ص ٥١) ما يأتي :-

لا شك أن سلف أهل مصر كانوا يعتقدون وجود آله واحد يري ولا يرى ومسيود صدي قديم أزلي لا أول له ولا آخر وانهم كانوا يقدسونه باجلال اسمه الخلية ويقربون إليه بكل الحنات وأجانب النفوس وبمعرفة واداء شامث عبادته وانهم ارتقوا في مادة معنى الاثوية الى درجة قسوى. وقد ورد في آثارهم كثير من الجمل والعبارات اثنته لوحداية الله تعالى وقدرته واحواله وصفاته بها - كل شيء خلقه الله العظيم بنفسه - ومنها - خالق الكائنات والاشياء - ومنها - الخالق لكل مخلوق الذي لم يخلق (وهو) فاطر السماء والارض - ومنها - الموجود لكل ما يكون أما ما لم يكن فهو في مكنون علمه - ومنها الله مجود باسمه الأزلي خالق الأرواح في الاشباح - ومنها يضي الدهور وهو باق دائماً - ومنها - ذو الازلية الذي يضي دهوراً لا يمضي وهو على حالة وجوده - ومنها - ذو الازلية الذي لا خدله - ومنها - لا يملك بالذراع ولا يقبض باليد - ومنها - لا تدركه الابصار - ومنها - يسمع لمن يتصرع اليه - ومنها - الذي يكون والذي لا يكون مختص به - ومنها ما ورد في معنى التوحيد - الواحد الذي لا شريك له

وقد وافق على اعتقاد المصريين بوحدانية الله كثير من علماء الامة المصرية القديمة - أما تعدد اليبودات التي قالت بها الآثار فليست إلا أمراً ظاهرياً قصد به بيان مظاهر الذات الخلية ليس إلا

وهكذا - حتى في الديانة - بدأ أهل مصر وأهل شبه جزيرة العرب نشأهم بالتوحيد وانتموا بنفس العقيدة على يد سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام